المبحث الخامس

الاتصال ببعض النصارى في العالم

عندما شرعت في بحثي، وبدأت في جمع مصادره، وجدت في أثناء قراءاتي للكتب الَّتي تتحدَّث عن الأديان عموماً والدِّين المسيحي خاصة، أنَّ أكثر تلك المصادر تدور في حديثها حول الأمور العقديـــة، الَّتي هي في الحقيقة أصـــل الخلاف ونقطة النِّزاع بين المســـيحيين والأديان الأخرى، بل بين المسيحيين أنفسهم، وركيزة كلِّ بحثٍ في الأديان.

ولَّما كان أكثر كتَّاب المصادر التَّي وقعت بين يديَّ هم من المســـلمين، القدامى والمُحدَثِين، رأيت أن أوجد شبه اتِّصالٍ مباشـــر بيني وبين بعض النَّصارى في العالـــم اليوم المهتمِّين بعلوم النَّصرانيـــة، والَّذين يعتبرون أمام الآخرين متمسِّـــكين بمبادئهـــا ويعملون بما جاء في شـــرائعها، ليكون قولهم حجَّة عليهـــم. فأخذت في إعداد بعض الأســـئلة الَّتي تتعلَّق بالأمور العقدية، والنَّواحي التَّاريخية للنَّصـــارى والنَّصرانية، وعملت

على أن تكون صياغتها بأسلوبٍ منطقي يتمشَّى ومفهوم العقل، وحاولت بقدر الإمكان أن أبتعد عـــن إظهار أيِّ نوع من أنواع التَّعصُّب، وإنَّما المحاولة ترمي إلى الوصول إلى الحقِّ.

وبعد إعداد تلك الأســئلة الَّتي بلغت في مجموعها ثمانية وعشرين سؤالًا، قمت بتكليف بعض الأصدقاء بترجمتها إلى اللُّغة الإنجليزية، حتَّى يتيسَّر لمن لايعرف اللُّغة العربية قراءتها والوقوف على معانيها.

وكنت أرمي مـــن وراء ما صنعت إلـــى الوقوف عن كثبٍ على آراء ومعتقدات النَّصارى المُحدَثِين في دينهم، وعن مدى تعلُّقهم به، وفهمه.

وبعد مددٍ متفاوتـــة من الوقت بدأت أتســـلَّم الرُّدود على أسئلتي. ولاحظت في الرسائل الَّتي وصلتني أن أكثرهم اكتفى في ردِّه على الأسئلة برسالة شـــكر واهتمام، وحث مبطن إلى الرجوع إلى الأناجيل والرسائل.

وهناك من أرفق برسالته الشُّكر مجموعة كتبٍ عن النَّصرانية، لايخرج الحديث فيها عمَّا جاء في الإنجيل أو الرَّســـائل، وهي

من الكتب الدِّعائية الَّتي تقوم مراكز النصرانية في العالم بتوزيعها مجانا بواسطة المبشرين. فلم أجد كبير فائدة فيها، فهي لن تمكِّنني من الوقوف على عقلية النَّصراني المعاصر.

وهناك من بعث بردودٍ موضوعيةٍ موجزة على كلِّ سؤال من أسئلتي، وهو الأمر الَّذي كنت ارجوه من الجميع.

وفيما يأتي نصُّ الأسئلة المذكورة:

١- من هو السَّيد المسيح على حقيقته؟.

٢- هل يمكن إثبات سندٍ متَّصلٍ للدَّيانة المسيحية؟.

٣- هل استطاعت الدِّيانة المسيحية (بوصفها نظاماً وتعاليم من عند الله) أن تأخذ نصيبها في الوجود في عهد سيدنا عيسى إبن مريم أو بعده؟.

٤- هل الأناجيل الَّتي كتبت في عهود الاضطهاد المستمر للنَّصارى تحمل صفة الكتاب المنزل من عند الله؟.

٥- هل يمكن لكتَّاب الأناجيل في ظلِّ هذا الاضطهاد الدِّيني أن يتحلَّوا بصفة الحيدة العلمية الَّتي ينادي بها علماء الغرب في العصر الحديث؟.

٦- مامدى الثِّقــة الَّتي يعطيها التاريخ لما كتب في هذه العهود من الأناجيل؟.

٧- ما الَّذي يُخرج تاريخ المســيح من الأسطورة إلى الحقيقة التَّاريخية؟.

٨- ما الَّذي يثبــت أنَّ الأناجيل الأربعة تمثِّــل في مجموعها إنجيل عيسى الحقيقي؟.

٩- كيف نقطع بأنَّ الَّذي بين أيدينا هو إنجيل متى الرَّسول؟.

١٠- ما معنى أنَّ الله لا غيره هو المسيح ابن مريم؟.

١١- على أيِّ أساسٍ اعتمد قانون الإيمان، وعلى أيِّ شيء ينصُّ؟.

١٢- ما نتائج مؤتمر (نيقية)؟ومتى عقد؟وما أسباب انعقاده؟.

١٣- من بولس الرسول؟ وما تاريخ حياته؟.

١٤- كم كان عــدد الأناجيل قبل أن يتم اختيار الأربعة؟وعلى أي أساس تم الاختيار؟.

١٥- ما حقيقــة روح القدس؟ وكيف يمكــن أن يكون ثالث ثلاثة؟ ولمن الغلبة؟.

١٦- مـــا قصة صلب المســـيح مفصلة، وهل قـــاوم الصلب، وكيف أنه لم يحتط لنفســـه قبـــل أن يصلب؟ وهل الذي صلب وعذِّب الناســـوت أم اللاهوت؟ وكم مكث على الأرض قبل أن يصعد إلى السماء؟.

١٧- هل كانت بنوة عيسى خارجة عن إرادة الله أم داخلة فيها؟.

١٨- ما حاجة الرب لأن يكون له ابن وقد أحاط بكل شيء؟.

١٩- كيـــف ينزل واجب الوجود الذي خلـــق العالم ودبره في رحم أنثى، ويتجسَّـــد فيه غلاماً يولد، كيف يتصور ذلك عن طريق المنطق والمعقول؟.

٢٠- كيف يكون الله أباً لعيسى وقد ولدته أمه من غير أبٍ؟.

٢١- هل تستحقُّ مريم أن تُعبد؟ وهل هي زوجة الله؟.

٢٢- ما قصَّة المائدة الَّتي طلبها عيســـى من الله، وهل نزلت، وما سبب ذلك الطَّلب؟.

٢٣- ما الآيات الَّتي أجراها الله على يد عيســـى، وما عددها، وما مدى تأثيرها؟.

٢٤- هل يقول المسيحيون بموت عيسى قبل يوم القيامة؟.

٢٥- أين إنجيل المسيح الأصلي، وإذا كان قد اندثر فما هو الكتاب المقدَّس في المسيحية؟.

٢٦- هل كانت رسالة عيسى خاصَّة أم عامة؟ إذا كانت خاصة، فما الحاجة للجهود المادية والمعنوية الَّتي تبذل لمحاولة تنصير الآخرين؟ وإذا كانت عامة فما الدَّليل على ذلك؟.

٢٧- كيف ينظر المسيحيون إلى المؤمنين بديانات أخرى، كالإسلام مثلاً. وكيف ينظرون للأنبياء والرسل الذين أتوا قبل المسيح وبعده؟.

٢٨- هل تنسخ الأديان بعضها بعضاً، وهل يؤمن المسيحيون بذلك؟ هذه هي الأسئلة التي وجهت إلى بعض النصارى، وكما ذكرت فقد تلقيت إجاباتٍ عدَّة مختلفةً من جهاتٍ مختلفة من العالم.

وسأذكر فيما يأتي موجزاً مختصرًا عن الإجابتين الموضوعيتين اللَّتين تلقَّيتهما إلى الآن. الأولى تمثِّل وجهة النظر الكاثوليكية، والثَّانية تمثِّل وجهة النَّظر البروتستنتية. وهما من أكبر الطَّوائف المسيحية اليوم.

فالَّتي تمثِّل وجهة نظر الكاثوليكية كانت من **الكاردينال** أسقف بوسطن الكبير بالولايات المتحدة الأمريكية، بتاريخ ١١/ ١٢/ ١٩٧٦م. حيث أجاب عن **السُّؤال الأول** بقوله: إنَّ المسيح هو الأقنوم الثَّاني من الثَّالوث، صار بشراً. وإن الإله واحدٌ ذو أقانيم ثلاثة. وإنَّ المسيح ولد من أمٍّ بشرية، وله طبيعتان كاملتان: الطَّبيعة الأولى إلهية، والطَّبيعة الثانية بشرية، فهو إلهٌ حقيقي، وبشرٌ حقيقي. وهو ابن الله أرسله ليكون فداء للبشرية عما ارتكبته من خطايا، ولقد رضي بتلك الوفاة بارادته وحرِّيته، معبِّراً عن طاعته ورضوخه لإرادة أبيه السماوي، وبحكم محبته للبشر. وهو الوسيط بين الله والإنسان، وفدى الجنس البشري كافة.

وعن السُّؤال نفسه، فقد وردت الإجابة الثَّانية من المعهد البروتستنتي لعلم اللاهوت في باريس بفرنسا بتاريخ ٣/ ٦/ ١٩٧٧م:

يعرف المسيح بيسوع النَّاصري، وهو آخر الرُّسل المنتظر منذ أيام إبراهيم.

أمَّا عن السُّؤال الثَّاني فقد أجاب الكاثوليك: بأنَّه لا يمكن إثبات سندٍ متصلٍ لرواة الأناجيل. وإنَّ كاتب الإنجيل الأوَّل

(متى) مجهـــول. وإنَّ صلة يوحنا بإنجيله غامضة. والرَّســـائل الَّتي تعـــزى إلى القدِّيس بولس تعدّ مـــن عمله هو. وإنَّ كاتب الرِّســـالة الموجَّهة إلى اليهود مجهولٌ، وإنَّ الرِّسالة الثَّانية الَّتي تعزى للقدِّيس بطرس كتبت باسم مستعارٍ.

وأمَّا البروتستانت فقد أكَّدوا أنَّ كتاب الأناجيل قد شهدوا الأحداث التي تدلُّ على قدرة المسيح الإلهية.

أمَّا عن **السُّـــؤال الثَّالث**: فقد اعتذر الكاثوليك عن الإجابة؛ لعدم فهم السُّؤال. أمَّا البروتستانت فقالوا: إنَّ المسيحية وجدت عندما قام المسيحيون بالانفصال عن اليهود الَّذين كذَّبوا برسالة المسيح وألوهيته.

أما عن **السؤال الرابع**: فقد أجاب الكاثوليك بأن كتب العهد الجديـــد (الأناجيل) مترلة من عند الله اســـتناداً إلى ما جاء في العهد القديم.

أمَّا البروتســـتانت فقالـــوا: إنَّ الأناجيل كتبـــت بين عامي ٥٠-١١٠ بعد الميلاد.

أمَّا عن **السُّؤال الخامس**: فقد أجاب الكاثوليك بأنَّ الكنيسة لم يكن لها وجودٌ في أثناء الفترة الأولى من المسيحية. والتَّلاميذ

كانوا يخضعون للسُّطان الروماني، وكانوا متعاونين مع الهيئات الإجتماعية التابعة له. وكانوا عند كتابتهم للأناجيل متمحِّسين للمسيح غير محايدين.

(نلاحظ أنَّ الإجابة يكتنفها بعض الغموض).

أمَّا البروتستانت فينكرون وجود اضطهاد وقت كتابة الأناجيل، ويثبتونه عند كتابة الرَّسائل المعروفة (بأعمال الرُّسل).

أمَّا السُّؤال السَّادس: فقد أجاب الكاثوليك بقولهم: إنَّ الأناجيل الَّتي كتبت في العهود الأولى لها حقيقة تاريخية ذكرها بعض المؤرِّخين من النَّصارى، وقد عثر على نقوشٍ وآثارٍ تؤكد ذلك.

أما البروتستانت فقد نفوا أن يكون هناك تزوير أو تغيير في الأناجيل بسبب الاضطهاد. (ولم يوردوا دليلاً على ذلك).

أمَّا السُّؤال السَّابع: فقد أجاب عنه الكاثوليك بقولهم: إنَّ الوقائع التاريخية تثبت حقيقة تاريخ المسيح، ويدعمها ما ثبت في كتب اليهود من مخالفة المسيح لهم، وفي الأناجيل نفسها ما يثبت ذلك.

أمَّا البروتستانت فقد نفوا أن تكون حياة المسيح نسج خيالٍ أو خرافةٍ سماوية، واعتبروها حدثاً تاريخيّاً.

أمَّا السُّـــؤال الثَّامن: فقد أجاب عنه الكاثوليك بأنَّ الأناجيل قد كتبت في العقود الثَّلاثة بعد وفاة المسيح، فهي ذات صلةٍ به إمَّا مباشرة أو عن طريق تذكر الرُّسل، وقد نالت أهمية بسبب ما ألصق بها من أسماء. وعلى الرغم من بعض الاختلافات بينها فقد عبَّرت عن رسالة السيد المسيح.

أمَّا البروتستانت فقالوا بوجود الأناجيل الأربعة، وما عداها فهو غير ذي قيمةٍ تاريخية.

أمَّا السُّـــؤال التاسع: فقد أجاب عنه الكاثوليك بقولهم: ليس هناك ما يثبت نسبة إنجيل (متى) إلى (متى) الرَّسول حقيقة.

أمَّا البروتستانت فقد اكتفوا بتعريف الإنجيل.

أمَّا السُّـــؤال العاشـــر: فقد أجاب عنـــه الكاثوليك بقولهم: الإله أقانيم ثلاثـــة الأب، الإبن، الرُّوح القدس، متفرِّقة حقيقة، متساوية وتابعة لذات واحدة.

فالأب لم يولد والابن مولود مـــن الأب، والرُّوح القدس منبثق منهما. وصفات الله وأفعاله مشتركة بين الأقانيم الثَّلاثة،

فهم المنشئون لجميع الأشياء. وقد ولد الأقنوم الثَّاني (المسيح) من مريم وله طبيعتان كاملتان: طبيعة إلهية وطبيعة بشرية.

أمَّا البروتستانت فيعتقدون أن الله جسَّد قدرته وإرادته في المسيح ابن مريم.

أمَّا عن **السُّؤال الحادي عشر**: فقد أجاب عنه الكاثوليك بأن الوحي الإلهي هو الصلة بين الله والإنسان، وأنَّه ضروريٌّ لهدايته، وقد أستمرَّ إلى وفاة عيسى وتلاميذه.

أمَّا البروتستانت فيؤمنون بأنَّ الإيمان المسيحي يقوم على حب الإنسان، لأخيه الإنسان ويحثُّ على الغفران والتَّسامح.

أمَّا عن **السُّؤال الثَّاني عشر**: فقد أجاب عنه الكاثوليك أنَّ من أهمِّ نتائج مؤتمر (نيقية) المنعقد سنة ٣٢٥م شجب بدعة (أريوس) الَّتي تتلخَّص فيما يأتي:

١- أنَّ الأب كان قبل الابن.

٢- ابن الله خلق من لاشيء.

٣- ابن الله مخلوق وليس أزليّاً.

٤- ابن الله المخلوق عرضة للتَّغيير.

٥- ابن الله ليس مساوياً للأب في الذَّات الواحدة، وأنَّ تسميته بـ (الله) على سبيل المجاز فقط، وقد كانت هذه الآراء هي السَّـــبب الرَّئيس لانعقاد المؤتمر، وقد أكَّد ألوهية المسيح وأزليته، وأنَّه مساوٍ للأب في الذات الواحدة. وقد أقرَّ المؤتمر قانون الإيمان الَّذي هو دستور الكنيسة.

أمَّا البروتســـتانت فقد ذكروا سنة انعقاد المؤتمر المذكور، وأنَّه تمَّ فيه جمـــع الكنائس حول الاعتراف والإيمان بالثالوث المقدس أساساً لوجود الأناجيل.

أما عن **السُّؤال الثَّالث عشر**: فقد أحال الكاثوليك إلى ما جاء في أعمال الرُّسل[1].

وذكر البروتستانت أنَّ بولس من الفريسيين أعتنق المسيحية، وطوَّر رسالتها، وهلك في روما.

أمَّا عن **السَّؤال الرَّابع عشـــر**: فقد أجاب الكاثوليك بقولهم: لقد راجت أناجيل كثيرة في القرن الثَّاني بعد المســـيح، أهمُّها

(١) راجع ص ١٠ من هذه الرسالة.

(إنجيل توماس). وقد كان اختيار الأناجيل الأربعة من بينها بناء على أن مصدرها الرسل ولكون الكنيسة قبلتها.

أما البروتستانت فيرون أنَّ اختيار الأناجيل الأربعة تمَّ لكون كتَّابها من الشُّهود العيان الذين عاصروا المسيح.

أمَّا عن **السُّؤال الخامس عشر**: فقد أجاب عنه الكاثوليك بقولهم: الذَّات الإلهية ثلاثة أقانيم تختلف عن بعضها في الحقيقة، وتتطابق جميعها في الذات الإلهية. الأب لم يولد، والإبن مولد، والروح القدس منبثق عنهما. فكل أقنوم يختلف عن الآخر ويساويه. وكلُّ أقنوم هو الإله الأزلي، ولكن الله واحد. وإنَّ كلَّ أقنوم هو الإله الواحد وهو الإله نفسه. ويستحيل على العقل المخلوق فهم هذا السر. وإن الروح القدس هو الأقنوم الثالث من الثالوث المبارك، نزل على عيسى وكان السبب في إنجابه بمعجزة. وبعث إلى تلاميذ المسيح وأتباعه لهدايتهم، وهو يختلف عن روح الإنسان. وليس هناك تباين بين سلطانه وسلطان الله. ويوصف عمله في العهد الجديد بأنَّه عملٌ شخصيٌّ، فهو يتكلَّم، ويشهد، ويمتحن، ويقرِّر ويناصر، ويشفع، ويوزِّع النِّعم، وقد أُرسل من قبل الأب والابن لإتمام عمل التَّخليص في أرواح بني آدم.

أمَّا البروتستانت فيقولون: إنَّ الرُّوح القدس هو الله الَّذي لا يدركه البشر، تجلَّى لهم في شخص المسيح، وهو يقود العالم بهذه الروح.

أمَّا عن **السُّؤال السادس عشر**: فقد أحال الكاثوليك على إنجيلَيْ (متى ولوقا[1]).

أمَّا عن البروتستانت فيرون أنَّ المسيح قَبِلَ أن يُصلب طاعة لربِّه، ولم يكن عاجزًا عن تفادي ذلك، وليس صلبه دليلاً عن عجز أو وحشية، إنما هو تعبير عن الحب الَّذي يكنُّه لأبناء البشر، فهو قد سُحق في الصِّراع القائم بين قدسية الإله وخطيئة البشر.

أمَّا عن **السُّؤال السَّابع عشر**: فقد أكَّد فيه الكاثوليك أنَّ نبوَّة عيسى لم تكن خارجة عن الإرادة والمشيئة الإلهية.

أمَّا البروتستانت فيرون أن القول بولادة المسيح قولٌ وثنيٌّ، ويعدّون المسيح ابناً لله يطيعه بمشيئته.

أمَّا عن **السُّؤال الثامن عشر**: فيؤكَّد الكاثوليك فيه أنَّ الله لم يكن في حاجة إلى ولد، وأنَّ الأقنوم الثَّاني (المسيح) أزليٌّ، ولكنَّه تجسَّد بشراً.

---

(١) انظر: ص (٥٢، ٥٣) من هذه الرسالة.

أمَّا البروتستانت فيرون أنَّ المسيح ابن الله، وهو وسيطٌ بين الله نفسه الَّذي لا يدركه البشر وبين الإنسان.

أمَّا عن **السُّؤال التاسع عشر**: فيرى الكاثوليك أنه ليس مستحيلاً على الله الَّذي فطر الكون أن ينزل في رحم امرأة من بني آدم، وأن يأخذ هيئة الولد، فهو على كل شيء قدير.

أمَّا البروتستانت فيقولون: يجب أن لا نرى في ولادة المسيح لغزاً بيولوجيّاً، وإنما هو إعلان عن نعمة أسبغها الرب علينا.

أمَّا عن **السُّؤال العشرين**: فيرى الكاثوليك أنَّ الله هو الأب البشري لطبيعة عيسى البشرية الذي ولد من مريم العذراء بلا واسطة رجل من البشر.

أمَّا البروتستانت فيرون أنَّ ولادة المسيح العذرية والقول بالروح القدس شيئان يعنيان أن المسيح ولد حقيقة من امرأة، وأنه من صنع الله الكامل.

أمَّا عن **السُّؤال الحادي والعشرين**: فيرى الكاثوليك أن عيسى هو الأقنوم الثاني من الثالوث المبارك، ولد من مريم العذراء

بواسطة سـلطان الرُّوح القدس. ولايقال: إنَّ مريم هي زوجة الله، بل هي زوجة يوسف النَّجار من النَّاصرة.

والكنيسة الكاثوليكية تُجلُّها لما شرَّفها الله به من الأمومة الإلهية. وإنَّ مقام عيسـى معها ثلاثين عاماً تحت سقف واحدٍ إنما هو توقيرٌ لها. وهي أمٌّ للكاثوليك، وتملك الشَّفاعة.

أمَّا البروتستانت فيرون أنَّ مريم ليست بامرأة الله، ولكنَّها من المؤمنين به شأنها شأن إبراهيم.

أمَّا **السُّؤال الثَّاني والعشرين**: فلم يجب عنه الكاثوليك؛ لعدم فهمهم إياه.

وأجاب البروتسـتانت بأنَّهم يعتقدون أنَّ هذه الوليمة هي عبارة عن الصُّورة لملكوت السماء الآتي.

أما عن **السـؤال الثالث والعشرين**: فإن الكاثوليك لا يعرفون عدد معجزات المسيح تماماً.

ويُعَرِّفُوَن المعجزة بأنَّها حقيقة محسوسة فوق طاقة البشر، وهي ليسـت بخرق القوانين الطَّبيعيـة، ولكنَّها تدَخُّلٌ من الله لإيقاف أنشطة القوانين العادية مؤقتاً.

وقد دلَّل عيسى بعمل المعجزات على قدرة الله ورحمته ولطفه وعدله، وبرهان لليهود الجاحدين على صدق رسالته.

أمَّا البروتستانت فلا يعدّون المعجزات دليلاً على ألوهية المسيح، إنما هي دلائل النِّعمة والرَّحمة الَّتي يظهرها الله للإنسان المتألِّم.

أمَّا السُّؤال الرَّابع والعشرون: فإنَّ الكاثوليك يؤمنون بموت المسيح حقيقة وبقيامه من الأموات وفقاً لطبيعته البشرية، ويشهد بذلك الأناجيل الأربعة[1].

والبروتستانت يقولون بموته أيضاً.

أمَّا عن السُّؤال الخامس والعشرين: فيؤكد الكاثوليك أنَّ المسيح لم يترك وصية مكتوبة، وأنَّ الكتاب المقدس لدى النَّصارى يتكون من الأناجيل، ورسائل العهد الجديد مع أعمال الرسل.

أمَّا البروتستانت فلا يرون أنَّ الأناجيل كتب مقدسة، إنما هي مجموعة شواهد للمؤمنين.

---

(١) راجع ص: ٢٥ من هذه الرسالة.

أمَّا عن **السَّؤال السادس والعشرين**: فيقول الكاثوليك: إنَّ رسالة عيسى عامة، وذلك اعتماداً على ما جاء في الأناجيل وأعمال الرسل.

ويرى البروتستانت أن رسالة المسيح عامة أيضاً.

أمَّا عن **السُّؤال السابع والعشرين**: فإنَّ الكاثوليك على الرغم من اعترافهم بعموم رسالة المسيح، لايقفون من الدِّيانات الأخرى موقف النفي والمناهضة.

أمَّا البروتستانت فإنهم يعدّون البشر جميعاً إخوةً لهم.

أمَّا عن **السُّؤال الثامن والعشرين**: فيرى الكاثوليك في إجابتهم أنَّ الدِّيانة النَّصرانية لا تُستبدل بأي دينٍ آخر، وأنَّها ستظل إلى يوم الدين.

أمَّا البروتستانت فيعتبرون أنَّ الأديان جميعها تعبير عن الثقافات البشرية، ويجب احترامها. ويعتقدون أن المسيحية أكثر من ديانة، فهي وحي وإلهام.

هذا، وقد وصلني رسائل أخرى من الجهات الآتية:

(١) الكنيسة الأولى ليسوع العالم في بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية. مرسلة من نائب مدير لجان النشر في الكنيسة المذكورة بتاريخ ٢٣/ ٩/ ١٩٧٦م، مصحوبة بكتيب يسمى (**حقائق عن العلم المسيحي**) يتحدث عن عقائد هذه الطائفة من النصارى. ومن أهمها أن هذه الطائفة من النصارى لا تقول بألوهية المسيح.

(٢) مجمع الكنائس العالمي في جنيف بسويسرا، مرسلة من رئيس البرامج الموحدة لإشهار العقيدة، أو (الحوار مع أتباع الديانات الحية والفلاسفة)، بتاريخ ١٩/ ١١/ ١٩٧٦م. مصحوبة بكتب عن النصرانية.

(٣) الفاتيكان (مقر البابا) من الرَّئيس المساعد في الفاتيكان للعلاقات الدينية مع المسلمين بتاريخ ١٩/ ١٠/ ١٩٧٦م، يذكر أن أسئلتي قد اهتمَّ بها البابا نفسه، وقد كلَّفه بالإجابة عنها. وأرفق بالرِّسالة عرضاً مقتضباً عن أصول الأناجيل، وعقائد الكنيسة الكاثوليكية، وأكَّد تقدير وإحترام الكنيسة للدِّين الإسلامي.

(٤) من أستاذ كرسي الدين بجامعة (دلهاوزي) كندا، (و.ك.س.مكلك) يعدني بالإجابة فيما بعد؛ نظرًا لضيق وقته. ولم أتسلم شيئاً إلى الآن.

وإن كان من تعليقٍ على الإجابات الموضوعية التي ذكرتها آنفاً، فإن هذا المختصر للترجمة الحرفية لهما يظهر فيه بوضوح تام ما يعتقده أتباع هاتين الطائفتين من النصارى في الله والمسيح، وهو اعتقاد متشابه بين جميع طوائف النصارى تقريباً.

ولا يختلف اثنان بأن هذا الاعتقاد مغاير تماماً لما أقره الإسلام من عقيدة المسلمين في الله عز وجل، وفي عيسى ابن مريم وأمه، كما مر معنا في ثنايا الرسالة مفصلاً وكما هو معروف. ولما كان هذا الاختلاف يتعلق بالأصل الأصيل للدين الإسلامي؛ فإنه لا يمكن بحال من الأحوال، وتحت أي ظرف من الظروف، إدخال أيِّ تعديل أو التساهل في أيِّ حرفٍ من حروفه، بإسقاط أو تغيير، ومن حاول ذلك متعمِّداً ومصرّاً يُعدّ كافراً بالدِّين الإسلامي ككل، وإن كان مسلماً فهو مرتدٌّ مباحُ الدَّم والمال والعرض، بعد استتابته.

إذاً كيف يمكن التوفيق بين الشَّريعتين الإسلامية والنَّصرانية؟ أو كيف يمكن على الأقلِّ التنسيق بينهما؟ الجواب: لا يمكن، إذا أردنا أن نسير وفق قواعد وشروط الدِّيانتين، إلا إذا جوَّزنا أن يكون زيدٌ حاضراً غائباً معاً في وقت واحدٍ، وهذا مستحيل، إذ الجمع بين النَّقيضين محالٌ. ولا فائدة من محاولة التنسيق بين فروع لأصلين متغايرين؛ لأنَّ الموت سيكون من حظ الفرع المنقول إلى الأصل المغاير. فلا بد من تحقيق أحدهما دون الآخر.

فكيف السبيل إلى معرفة الحق من الباطل؟ الجواب: الرجوع إلى العقل السليم، والأدلة النقلية الثابتة.

أمَّا العقل فقد دل على بطلان عقيدة القائلين بألوهية المسيح وتعدُّد الآلهة، إذ يستحيل على الله عقلاً أن يرسل رسولاً، فيوحي إليه أن الله ثلاثة أقانيم، ثمَّ يرسل رسولاً بعده مصدِّقاً له ويوحي إليه أنَّ الله واحدٌ لا شريك له لم يلد ولم يولد، ويفند، ويبطل قول القائلين بتعدد الآلهة، وبأن عيسى ابن الله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

إذاً فقد طرأ تحريف على رسالة أحد الرسولين ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

فإذا نظرنا في الأناجيل نجدها قد كتبت بعد رفع المسيح عليه السلام بوقت طويل: وأنَّه لم يترك إنجيلاً مكتوباً، فمن نقل الأناجيل عن المسيح؟

الجواب: ليس هناك نقل ثابتٌ يقينيّاً كثبوت تواتر القرآن الكريم، بشهادة بعض النَّصارى أنفسهم.

والنَّصارى مختلفون في زمن كتابة الأناجيل، وفي اللُّغة الَّتي كتبت بها، وفي شخصية كتَّابها. بينما نرى أنَّ القرآن الكريم قد نقله متواتراً جمع عن جمعٍ يستحيل تواطئهم على الكذب، وينتهي إلى علمٍ يقين. فرسول الله ﷺ قد سمع منه آلاف من الصَّحابة القرآن الكريم، ونقلوه إلى التَّابعين، وحفظوه في صدورهم، ودوَّنوه من أوَّله إلى آخر كلمة وآية منه من فم الرَّسول نفسه، فكان ثبوته ثبوتاً قطعيّاً. وهكذا نقل عن التَّابعين جيلاً عن جيلٍ إلى أن بلغنا متواتراً، حتَّى إنَّ القارئ للقرآن ليخطئ فيردَّ عليه العشرات خطأه على الفور؛ لأنَّ نسخ

القرآن مُتيقِّنة متَّفِقة، بينما نجد اختلافاً كثيراً في نسخ الأناجيل بيِّناً لكلِّ من يقارن بين نسخة وأخرى.

وبثبوت صحة القــرآن يثبت صدق نبوَّة محمد ﷺ وعموم رسالته، إذ القرآن وحي من الله وهو معجزة لايقدر عليها إنسٌ ولا جَانٌّ، والإيمان بالوحي من الله إلى من يشاء الله من عباده لا خلاف فيه.

فالرُّجوع إلى الحقِّ فضيلةٌ، فلو بُذِلت محاولاتٌ صادقةٌ في هذا الصَّدد، وكانت النِّيــة خالصةً، مع البعد عن العاطفة والهوى، وكلِّ مَا مِن شأنه أن يُضعِفَ سلطان العقل أو يَشلَّه، كالأمور السياســية مثلاً، لأمكن الوصول إن شــاء الله إلى معرفة الحقِّ.

والمؤيِّدون لمجرَّد إجراء حوار بين المسلمين والنَّصارى، بحجَّــة التَّصدِّي لخطر الإلحــاد والإباحية الَّــذي يهدِّد أتباع الطائفتيــن، وأنَّ تعاونهمــا معــاً بوصفها أصحاب رســالتين ســماويتين يقلِّل من حــدَّة هــذا الخطر، ويقضــي على كلِّ محاولاته، هــم كقابض ريــحٍ؛ لاختلافهم حــول الأصول، ومحاولتهم التَّوفيق بين فروع الأصلين.

وما محاولة التنسيق هذه إلاَّ نوعاً من التَّموية، والمغالطات أملتها الظُّروف السياسية لن ينتفع منها إلا أعداء الإسلام.

وأمَّا الاحتجاج بفعل النَّبي ﷺ، وفعل الصَّحابة من بعده، كفعل عمر بن الخطَّاب في بيت المقدس، عندما كانوا يجتمعون بأهل الكتاب من نصارى ويهود، هو احتجاجٌ أبتر.

فالرَّسول ﷺ والصَّحابة من بعده ؛ قد اجتمعوا فعلاً بوفود من أهل الكتاب، ولكن ما الَّذي كان يدور في تلك الاجتماعات؟ إنَّه دعوةٌ إلى الإسلام أوَّلاً بالحِكمة والموعِظة الحسنة، والجِدال بالَّتي هي أحسن، حول ما التبس على الوافدين من أمور الدِّين.

فإن أعمى الهوى بصيرته، انتقل الجدال إلى النقطة الثَّانية، وهي دفع الجزية، مقابل الأمان، داخلين بذلك في ذمَّة المسلمين لا يمسُّهم سوءٌ، ولا تهضم لهم حقوقٌ دينية كانت أم مدنية.

فإن أخذتهم العزَّة بالإثم، ورأوا في أنفسهم القوّة والمَنعَة، وفيما يعتقدون الحقَّ والفضيلة، فالقتال هو الدَّواء النَّاجح والحدُّ الفاصل بين الوهم والحقيقة.

كقول القائل:

الســـيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

فهـــل أُدرجت هـــذه الأمور الثلاثـــة في جـــدول أعمال المؤتمرين؟.

ولعـــل قائلاً يقـــول: إنَّ منطق الرَّســـول ﷺ والصَّحابة رضي الله عنهم حينذاك، كان منطـــق قوَّةٍ، بينما المســـلمون اليوم قد اعتراهم الضَّعف، وتفرَّقت بهم السُّـــبل، وأصبحوا يحتاجون إلى أهل الكتـــاب وغيرهم فـــي كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ من شـــؤون حياتهم الدُّنيا، وإنَّهم لا يملكون من أســـباب القوَّة والمنعة كما يملك غيرهم. شاؤوا أم أبوا.

والسُّـــؤال الَّذي يترتب على ذلك: ما الأســـباب الَّتي أدَّت إلى ضعف المســـلمين وتفرُّق سُـــبُلهم؟ الجواب: هو بعدهم عن دينهم، وتنكُّرهم لتعاليمه عن قصد أو عن غير قصدٍ نتيجة لتقصيرهم في التَّفقه في أمور الدِّين، فقد جاء في كتابهم العظيم، الَّذي لا يأتيه الباطل من بيـــن يديه ولا من خلفه، قول الحكيم الحميد:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٨-٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

هذه الآيات تطالب المسلمين بالعِزَّة، واتِّخاذ وسائل القوَّة، والمَنعَة، وأن يعتمدوا في رزقهم على خالقهم، وعدم التعاون مع أعداء الله وأعداء دينه من فجَّار الصَّليبيين، وملاحدة الشُّيوعيين الَّذين اتَّخذهم المسلمون أولياء يُلقون إليهم بالموَّدة ويلجؤون إليهم في المشورة والمتابعة.